الخطايا والآثام ، ثم انقلبوا إلى بيئة — غير بيئتهم الأولى — تسودها الطمأنينة والدعة ، فاستقاموا على الطريق ، وأصبحوا من أخلاقهم وسلوكهم على هدى ورشاد ، بل لعلهم صاروا مضرب الأمثال ، فى العـــدالة والفضيلة والإسراع إلى الخيرات ! ... .

وطالما قص علينا ثقاة الرواة أنباء أناس كانوا يحيون الحياة الدارجة ، لا يعرف لهم قرناؤهم وعشراؤهم مـــيزة ظاهرة ، ولا يذكرون لهم طابعاً يختصون به ، فإذا هم تصادفهم فى طريق العيش أحداث عابرة ، فما هى إلا أن تثير بين جنوبهم قوة من الإيمان خارقة ، فنراهم متحنثين غلاة ، حتى لتبدو فيهم من القديسين مشابه ، فهم يروعونك بالعجب العجاب ، فى نوبات التيبـــوبة الصوفية التى تساورهم بين حين وحين ؛ إذ تتجلى على أجسادهم ندوب من جراح دامية ، ولا يكاد الوعى يعاودهم حتى تتزايل الندوب وتندمل الجراح !...

ودونك العباقرة ... إنهم لمدينون بتفوقهم وتخرجهم لما أحاط بهم من بيئة وما تاح لهم من ملابسات ، أكثر مما هم مدينون بذلك لشعلتهم المقـــدسة ، التى كانت لهم هبة من السماء ! ... فهذه الشعلة المقدسة تمكث مستخفية فى النفس ،